خطبة جمعة

العبد بين الحسنات والسيئات

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إنَّ الحمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئات أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلَا مُضِلَّ له، ومنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُه،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ..

فإنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحدَثاتُها وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدعة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة.

أَيُّها المؤْمِنُون: إنَّ أحدَنا حارثٌ همَّامٌ؛ يغدو ويروح في اجتلاب مصالحه في الدُّنيا والآخرة، وهو في حرثه وهمته بين حسنة يفعلها متقرِّبا إلىٰ الله وسيئة يقترفها مخالفًا أمر الله، فلا ينفكُّ العبد من مخالطة الحسنات والسيئات في يومه وليلته.

كيف لا! وقد الله ﷻ ذلك عملا وجزاءً ففي «الصحيحين» من حديث الجعد أبي عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات» وكتاباته ﷻ لها تشمل أمرين:

أحدهما: كتابتهما قدرا علىٰ العبد أنه يفعل من الحسنات ما يفعل ويفعل من السيئات ما يفعل.

والآخر: كتابته جزائهما بما يُجزىٰ عليه فاعل الحسنة بحسنه ومواقع السيئة في سيئته.

فالإحاطة بعلم الحسنات والسيئات من أولىٰ العلوم التي ينبغي أن يعيها العبد؛ لأن عمله لا ينفك عنها غالبا؛ لأن من جوامع أحكامها ما انتظم في آيات متفرقات في كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص]، ففاعل الحسنات يؤتيه الله ﷻ فضلا عظيما ويكون ما يصيبه من الجزاء خير من حسنته التي أتىٰ، فهو يجزىٰ علىٰ حسنته بمثلها إذا عشرة أضعاف، إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة بقدر ما يكون في قلبه من حُسن الإسلام والعمل.

وأما فاعل السيئة فإن الله ﷻ لا يجزيه إلا بمثل سيئته، فجزاء سيئة سيئة مثلها.

ففي هٰذا المشهد الجليل يتبين كمال فضل الله وعدله:

أما كمال فضله فأن يجزِيَك عن الحسنة أضعاف مضاعفة منها، وأنت لم تأتِ إلا حسنةً واحدة.

وأما عدْلُه ﷻ فإنه إذا آخذ العبدَ علىٰ السيئة جزاه سيئةً بمثلها، وتعالىٰ ﷻ أن يكون ظلوما غشوما فلا يزيد علىٰ العبد اقترافه السيئة ولا يضاعفها له.

فتأملوا رحمكم الله عظيم الرحمة الربانية وجميل العدل الإلهي الذي لا يوازيه فضل ولا عدل.

ومن جوامع أحكامها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤]، فالعبد لا يخلو من مقارفة السيئة بما فطره الله ﷻ عليه من آدميته وبشريته، وفي «صحيح مسلم» من حديث سعيد بن عبد العزيز عن ابن إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في ما يرويه عن ربه تبارك وتعالىٰ: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم».

فلا يخلو العبد من مواقعة سيئة في يومه وليلته، فإذا وقعت السيئة فإن مما يذهب أثرها ويزيلها أن يبادر العبد إلىٰ فعل الحسنات بعدها، والحسنة التي تكون بعد السيئات نوعان:

أحدهما: حسنةٌ يفعلها العبد رجاء محو سيئته التي تقدمت.

والآخر: حسنة يفعلها العبد دون ابتغاء القصد المذكور آنفا.

والأول أبلغ من الثاني فإذا فعل العبد سيئة، فإن من كمال محوها وصدق التوبة منها أن يبادر العبد إلىٰ حسنة يفعلها يريد بذلك محو السيئة التي اقترفها، فإذا قُدِّر أن أحدًا ما ترك الصلاة حتىٰ خرج وقتُها فآب وتاب ورام قضاءها بعد ذلك فإنه مما يكمل قضاءه الصلاة المكتوبة أن يبادر بعدها إلىٰ أنواع من النوافل

من جنس الصلاة أو مما قاربها فيؤدي من نوافل الصلاة بما يتقرب إلىٰ الله، أو يكثر التسبيح والذكر والدعاء، فإن ذلك من جنس الحسنة المناسبة لخطيئته في تركه الصلاة، فيكون ذلك أبلغ في محوها.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمدُ للهِ رب العالمين ربِّ السَّمٰوات وربِّ الأرض وربِّ العرش العظيم، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هو البرِّ الرَّحيم ، وَأَشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه وَرَسُولُه الرؤوف الكريم، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ من أهل البر والإِحْسَانِ من عباد الله المؤمنين.

أما بعد..

أَيُّها الْمؤْمِنُون:

لا يخلو أحدٌ منا من مواقعة سيئةٍ يقترفُها في يومه وليلته، وإنَّ وُفُوده علىٰ الله ﷻ بصدق الأوبة يؤذِن بمغفرة الله ﷻ ذنبه وعفوه عنه، فمن جوامع الأحكام في الحسنات والسيئات قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشورىٰ]، فإذا تاب العبد إلىٰ ربه ﷻ وانخلع من سيئته فإن الله ﷻ يعفو عنه ما اقترفه، وليس المراد بعفوه ﷻ عنه أن يغفرها له فقط، كلا؛ بل يذهب أثرها فلا تذكر فيه أبدا، فإن حقيقة العفو زوال أثرها، فيكون ذلك أبلغ من المغفرة المجردة.

فالله ﷻ عفو كريم غفور رحيم، فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأعراف]، فإذا تاب العبد وأقلع عن سيئته فإن الله يعفو عنه ويغفر له ما اقترفه من السيئات، فيكون بذلك له من حال الإقبال علىٰ الله ﷻ ما يقوِّي صدق أوبته وتوبته إليه، فإنه إذا علم أن الله يغفر الذنب ويقيل العثرة كان أرجىٰ في تكميله مقامات العبودية، ورغبته إلىٰ ربه، ورهبته من ﷻ.

فاجتهدوا -أيها المؤمنون- في فعل الحسنات وحاذروا من فعل السيئات، وإذا واقع أحدنا سيئة بالنظر إلىٰ طبيعته الآدمية وخلقته البشرية فليبادر إلىٰ التوبة منها، فإن الله ﷻ فسح لكم في أجلكم وقبل منكم توباتكم، فاجتهدوا رحمكم الله تعالىٰ فيما يقرِّبكم إلىٰ الحسنات، وحاذروا ما يُبعدكم عن ربكم من السيئات، واذكروا قول الله ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ﭐلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾[الجاثية]، والفرقان بين الطَّائفتين ظاهر في الدَّارين.

اللّٰهمَّ اجعلنا ممن يأتي الحسنات ويسابق إليها، ويتوب من السيئات ويباعد عنها.

اللّٰهمَّ حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والعصيان، واجعلنا من عبادك الصالحين.

اللّٰهمَّ ألهمنا رُشدنا وقنا شر أنفسنا، اللّٰهمَّ ألهمنا رُشدنا وقنا شر أنفسنا.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا [أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،] أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهدَىٰ وَالتُّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ،

اللَّهُمَّ آمِنِ المسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، اللَّهُمَّ آمِنِ المسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، اللَّهُمَّ آمِنِ المسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَهُمْ وَوُلَاةَ أُمُورِهِمْ،

اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بك من شَرِّ الأشرار وكيْد الفجَّار.

اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندْرَأ بك في نُحورهم.

اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرَبَ المكْرُوبِي، وَنَفِّسْ هُمُومَ المهْمُومِينَ نَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ المدِينِينَ، وَأَطْلِقْ أَسْرَىٰ المسْلِمَينَ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَىٰ المسْلِمِينَ،

اللّٰهمَّ نسألك البركة في أعمالنا، ونسألك البركة في قواتنا، ونسألك البركة في أقوالنا، ونسألك البركة في نياتنا، ونسألك البركة في ذريَّاتنا.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[العنكبوت:٤٥] .